

# ناشطة اقتصادية

بوب سيميسون يعرض لمحة عن ماريانا مازوكاتو الأستاذة بكلية لندن الجامعية  
والمناصرة الدؤوبة لدور الحكومة في قيادة عملية الابتكار.

متأكدة من أنني كنت سأمضي في هذا الاتجاه لولم أرحم المعاناة الحقيقية على أرض الواقع». وتضيف قائلة إن مختلف درجات المعاناة الناتجة عن الجائحة في مختلف أنحاء العالم تدعم حجتها. وتبلغ مازوكاتو من العمر ٥٢ عاما، وهي أستاذة إيطالية-أمريكية في علم الاقتصاد بكلية لندن الجامعية، حيث تركز في عملها على الابتكار والقيمة العامة، وهي أيضا المدير المؤسس لمعهد الابتكار والمنفعة العامة التابع لكلية لندن الجامعية. وتقول «لقد تم تفرغ قدرات الدولة بالفعل بسبب نظرنا الضيقة لدورها. فإذا كان دور الدولة يقتصر على معالجة الإخفاقات السوقية ويتم إقصاؤها فيما عدا ذلك، لن يكون هناك حافز كبير على الاستثمار في آليات خلق المعرفة من أجل المشاركة في تحقيق القيمة». ووفقا لماريانا، ينطبق ذلك خصوصا على المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية، حيث منع القادة السياسيون التمويل عن الصحة العامة وانتقصوا من قيمة الحكومة نفسها، مما أدى إلى تراجع ثقة المواطنين وقدرة الحكومة على الاستجابة للأزمات. وعلى العكس، أشارت مازوكاتو إلى حكومات عدد من البلدان الأقل حجما وثراء التي استجابت بشكل أكثر فعالية للجائحة مقارنة بأمريكا وبريطانيا، مثل فييت نام وولاية كيرلا في جنوب غرب الهند ونيوزيلندا والدانمرك، حيث نفذت جميعها استثمارات ضخمة في قدرات الدولة مع الوقت، واستطاعت إدارة الأزمة بشكل أفضل من حيث تنفيذ إجراءات الإغلاق، ووفرت وسائل الحماية، وعززت ثقة المواطنين.

### امرأة في مهمة

ربما صارت مازوكاتو من أهم خبراء الاقتصاد على مستوى العالم منذ صدور كتابها *The Entrepreneurial State*. وقد توسعت في مناقشة هذا الموضوع في كتاب بعنوان *The Value of Everything: Making and Taking in the Global Economy* صدر لها عام ٢٠١٨. وأصبحت الفقرات الإخبارية المذاعة على التلفزيون البريطاني تعج بذكرها، وحلت ضيفة على قناتي CNN و PBS وبرنامج "Desert Island Discs" الشهير الذي يبث عبر راديو هيئة الإذاعة البريطانية. وتحدثت على منصة تيد هذا العام والعام السابق. وتصدر لها مقالات رأي بانتظام في جريدتي *Financial Times* و *Guardian* وغيرها. ونشرت لمحة عن سيرتها الشخصية في جرائد *Wired* و *Times of London* و *New York Times* و *Finan-* و *cial Times* و *Quartz* و *Fast Company* وغيرها. وحصدت مازوكاتو على مدار مسيرتها المهنية عددا من الجوائز في مجال الاقتصاد، وأصبحت مقصد العديد من صناعات السياسات للحصول على مشورتها. وتم اختيارها للمشاركة في فرق العمل المعنية بمواجهة أزمة كوفيد-١٩ في جنوب إفريقيا وإيطاليا والفايتكان. وهي المستشار الاقتصادي لحكومة اسكتلندا، ومستشار النولدى منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي، ومستشارة

وهي تجلس حول مائدة العشاء، تستغل حتى الاقتصادية ماريانا مازوكاتو مهاراتها الاستثنائية في التواصل لشغل فراغ أسرتها خلال فترة الإغلاق العام في لندن بسبب الجائحة. فهي وزوجها، منتج الأفلام الإيطالي كارلو كريستو-دينا، يصران على اجتماع الأسرة كل مساء لتناول وجبة العشاء في منزلهم بلندن، ويتحدث الجميع بمزيج من اللغتين الإيطالية والإنجليزية، ويتناقشون حول الدراسة والعمل والأفلام والاقتصاد. يقول كريستو-دينا «نتحدث عن موضوع ما، وننخرط في نقاش طويل كل مساء مع أبنائنا الذين لا يزالون في سن المراهقة». وتبلغ أعمار أبنائهما ٢٠ عاما و١٧ عاما و١٤ عاما (توأمان). ويضيف قائلا «كلفت ماريانا التوأمين بإعداد بحث عن الفجوة الرقمية، وكان هناك الكثير من الصراخ والاعتراض».

وخارج المنزل، تنشط مازوكاتو في مجال الاقتصاد والسياسة العامة منذ ما يقرب من عشر سنوات. وتمثل رسالتها الأساسية في ضرورة استغلال الحكومات لسلطاتها في قيادة عملية الابتكار من أجل النهوض بالبشرية. وتعكف في الوقت الحالي على تطبيق أفكارها على أزمة كوفيد-١٩ من خلال عضويتها في عدد من فرق العمل ودورها المعتاد كناشطة اقتصادية.

وتقول «لن نستطيع الخروج من أزمة كوفيد-١٩ ما لم نُعد النظر في دور الدولة. وتحديدًا، ما هو دور الدولة؟» وتشير في إجابتها المثيرة للجدل إلى أن دور الحكومة يتمثل في وضع مجموعة من الأهداف الكبرى، وتحديد المهام اللازمة لتنفيذ تلك الأهداف، وتشجيع الابتكارات والاستثمار فيها، وتنظيم هذه العملية لضمان منفعة العامة. ويتعارض ذلك مع المفهوم التقليدي الحديث، ومفاده أن دور الحكومة هو معالجة تداعيات الكوارث وتصحيح الاختلالات السوقية الجسيمة، وبخلاف ذلك فإن عليها إفساح المجال للشركات الخاصة لقيادة عملية الابتكار.

ووفقا لمازوكاتو، أدى هذا النسق الفكري إلى الأزمة المالية في ٢٠٠٧-٢٠٠٨ وما لحقها من موجة تقشف حكومي مدمرة، لا سيما في أوروبا.

### «تفرغ» القدرات الحكومية

تقول ماريانا «لم أر سوى تقليص الخدمات الاجتماعية والاستثمارات العامة - باسم الابتكار». وبوصفها خبيرة في مجال الابتكار، فقد هالها ما رأت. وفي كتابها الصادر عام ٢٠١٣ بعنوان *The Entrepreneurial State: Debunking Public vs. Private Sector Myths*، دعت إلى إعادة النظر في دور الحكومة. وأشارت فيه إلى أن جزءا كبيرا من ابتكارات القطاع الخاص في مجالي الرعاية الصحية والتكنولوجيا وغيرهما يعتمد على أبحاث ممولة من الحكومة لا يمكن للمؤسسات الخاصة الاستثمار فيها إما لعدم قدرتها أو لدعم رغبتها. وتقول خلال مقابلة لها «لست

وقد يكون ألبرتو مينغراي من أكبر منتقدي مازوكاتو، وهو من مؤرخي الفكر السياسي، ومدرس بالمعهد الجامعي للغات الحديثة في ميلانو، والمدير العام لمعهد برونو ليوني في ميلانو الذي يعد من المؤسسات البحثية التي تتبنى فكر السوق الحرة. وفي عام ٢٠١٥، نشر نقداً من ٢٢ صفحة لكتاب *The Entrepreneurial State* وضمنه قائمة مراجع شملت ٣٢ مرجعاً. وكتب يقول «إن الشواهد التي تسوقها مازوكاتو غير دقيقة، كما أنها لم تثبت أن التدخلات الحكومية التي تشيد بها استهدفت عن قصد تحقيق النتائج التي نشأت عنها».

ويقول في مقابلة معه «اعتراضي هنا نابع من أن فكرتها الأساسية التي يقوم عليها كتاب *The Entrepreneurial State* توحي بأن الاستثمارات العسكرية في التكنولوجيا نشأت عنها آثار إيجابية غير مباشرة على الاقتصاد المدني. ولكنها تزعم أن هذه ليست آثار إيجابية غير مباشرة ولكنها نتيجة لسياسات موجهة، ولا تسوق ما يثبت هذه الأطروحة».

وترد مازوكاتو بأن هؤلاء النقاد يتجاهلون تاريخ الحكومة في دعم التكنولوجيات الجديدة في المراحل المبكرة عالية المخاطر. فقد اعترف ستيف جوبز مؤسس شركة آبل وبيل غيتس مؤسس شركة ميكروسوفت بأنهما اعتمدا على التطور التكنولوجي الذي حققته المنظمات الممولة من الحكومة. وكان قد تم إنشاء وكالة مشروعات البحوث المتطورة الدفاعية (DARPA) التابعة للحكومة الأمريكية منذ ٦٢ عاماً لتحمل المخاطر ذات الصلة، وأرست جهودها البحثية الأساس الذي يقوم عليه جزء كبير من تكنولوجيا المعلومات والإنترنت في الوقت الحالي.

وتقول مازوكاتو «إذا لم يكن بإمكان الحكومة اتباع الحدس والاستفادة من الاكتشافات، كيف يمكن تفسير قيام الحكومة الأمريكية بإنفاق مليارات الدولارات لإنشاء نظام تحديد المواقع العالمي وذلك قبل فترة طويلة من استخدامه لدعم شركات سيارات الأجرة التي تبلغ قيمتها مليار دولار؟» وتضيف قائلة «إذا كانت شركة أوبر مثلاً حيا على الفوضى الخلاقة، كيف يفسر اعتمادها التام على ابتكار مدعوم ومطور بالكامل من جانب الحكومة؟» وترفض مازوكاتو أيضاً فكرة مناصرتها للتخطيط المركزي.

وتقول «عوضاً عن ذلك، ينبغي أن توجه الدولة الاقتصاد - مع تنفيذ الاستثمارات اللازمة في مرحلة مبكرة وإدارة هذه العملية لضمان مصلحة المواطنين. ويعني ذلك ضمان عدم سوء استغلال براءات الاختراع وتحديد أسعار الأدوية على أساس حجم التمويل العام المستثمر فيها حتى لا يتحمل دافعو الضرائب التكلفة مرتين». ويتطلب ذلك في رأيها تنفيذ سياسات تهدف إلى تشكيل السوق لا إلى إصلاح السوق.

وتقول مازوكاتو عن سبب تأليف كتاب *The Value of Everything* «بالرغم من أن أفكاري في كتاب *The Entrepreneurial State* انتشرت على نطاق واسع وأدت في نهاية

السياسات البحثية للنرويج، ومستشارة الاتحاد الأوروبي للبحوث والابتكار.

وولدت مازوكاتو في روما، وجاءت إلى الولايات المتحدة في عمر الخامسة عندما التحق والدها عالم الفيزياء النووية بالعمل في معمل فيزياء البلازما بجامعة برينستون. وتعلمت كيفية إعداد المأكولات والمخبوزات الإيطالية من والدتها التي عملت بتدريس فنون الطهي. وعقب إتمام تعليمها الثانوي بإحدى المدارس الحكومية في برينستون بولاية نيو جيرسي، استكملت دراستها العليا في جامعة تافتس بولاية ماساتشوستس، وحصلت على درجة الدكتوراه في علوم الاقتصاد من جامعة نيو سكول للبحوث الاجتماعية في نيويورك. وعملت في المملكة المتحدة خلال الجزء الأكبر من العقدين الماضيين، وشغلت منصبها الحالي بدءاً من عام ٢٠١٧.

ويقول عنها غريغور سمينيوك، أستاذ الاقتصاد بجامعة ماساتشوستس في مدينة أميرست، الذي شارك مازوكاتو في دراسات ما بعد الدكتوراه في جامعة ساسكس بمدينة برايتون في إنجلترا، «لقد غيرت مسار المناقشات حول دور الحكومة. ودائماً ما تسوق حججاً قوية للتأكيد على أن الحكومة بمقدورها أن تكون جزءاً من الحل بدلاً من أن تكون عائقاً أمام التقدم».

وتشير مازوكاتو في كتابها بعنوان *The Entrepreneurial State* إلى دور الحكومة الأمريكية في تمويل البحوث الصيدلانية التي ساعدت شركات صناعة الدواء على اختراع أدوية جديدة، وكذلك دورها في استحداث التكنولوجيا التي استخدمتها شركة آبل في صناعة هواتف آي فون والمنتجات ذات الصلة. وبالتالي يمكن للحكومة تشجيع الابتكار في رأيها، مما يؤدي إلى خلق فرص عمل جديدة، وتعزيز النمو الاقتصادي، وتحقيق مكاسب كبيرة على صعيد الرخاء الاجتماعي. وغالباً ما تستشهد أستاذة الاقتصاد بالبعثة التي أرسلتها الحكومة الأمريكية إلى سطح القمر في الستينات وما تلاها من موجة ابتكارات واسعة في العديد من المجالات.

## الرأي الآخر

لا يؤمن الجميع برأي ماريانا بالطبع. فبالنسبة للاقتصادي آرثر دياموند من جامعة نبراسكا في مدينة أوماها، تعتبر أطروحة مازوكاتو مشابهة إلى حد كبير لمفهوم السياسة الصناعية المخططة مركزياً، ولن تنجح بالتالي نظراً لأن الحكومة غير قادرة بطبيعتها على تشجيع الابتكار. وفي كتابه الصادر عام ٢٠١٩ بعنوان *Openness to Creative Destruction: Sustaining Innovative Dynamism*، يشير إلى أن رواد الأعمال هم الدافع والمحرك وراء الابتكارات نظراً لتعمقهم في مجالهم وقدرتهم على الاستفادة من الاكتشافات واستخدام حدسهم وتطبيق مبدأ التجربة والخطأ التقليدي.

ويقول دياموند «لن يكون بمقدور صناع القرار في الحكومة التعمق في المشكلات، أو الحصول على المعلومات التفصيلية اللازمة، أو اتباع حدسهم للتوصل إلى حلول فعالة».

المطاف إلى تغيير حقيقي في السياسات في بلدان عديدة، كان لابد من التطرق مباشرة إلى المبادئ الأساسية التي تحدد الطرف المسؤول عن خلق الثروة، لا سيما تداعيات النظرية الاقتصادية الأساسية حول (ماهية القيمة)».

## العمالة الأساسية مهرة القيمة

أبرزت الجائحة هذه القضية بشكل حاد نظراً لأن العديد من العاملين الأكثر أهمية على الإطلاق - بدءاً من موظفي مجال البقالة وحتى سائقي توصيل الطلبات والمرضى والمساعدين بالمستشفيات - هم أيضاً من بين الأقل أجراً. ووفقاً لمازوكاتو، يعكس ذلك في جانب منه بعض الاختلالات المحاسبية في الاقتصاد: فالخدمات المالية تدخل في حساب إجمالي الناتج المحلي بسبب الرسوم المتولدة عنها بالرغم من أنها لا ينشأ عنها أي جديد، ولكن من الصعب عزو قيمة لنظم الصحة أو التعليم العامة السليمة.

وتضيف قائلة «يجب أن نقدر قيمة القطاعات الأساسية في الاقتصاد وأن نوفر لها الموارد اللازمة. فهذه العمالة لم يكن لها نصيب من القيمة المحققة، حيث توقف نمو الأجور الحقيقية بينما استمر نمو الإنتاجية». وتشير في كتابها الثاني إلى أن الاقتصاد الأمريكي تضاعف حجمه ثلاث مرات، بينما لم يطرأ أي تغيير يذكر على الأجور المعدلة لاستبعاد أثر التضخم طوال العقود الأربعة الماضية.

وتقول مازوكاتو إنه في الوقت الذي تسعى فيه الحكومات إلى دعم الاقتصادات وإنقاذ الشركات في ظل الجائحة، ينبغي أن تستخدم قوتها في إحداث تغيير كبير في الموازين. فينبغي فرض شروط قوية على المنح والقروض. وفي مقابل إنقاذ شركات الطيران على سبيل المثال، ينبغي إلزامها بتقليص انبعاثاتها الكربونية.

وصدرت لمازوكاتو مقالة رأي في جريدة *New York Times* بتاريخ ١ يوليو دعت فيها إلى مفهوم حصص الحكومة في الشركات المستقبلية من التمويل الحكومي وكذلك «نصيب المواطن في أرباح» تلك الشركات. وكتبت تقول «الأمر ببساطة بمثابة اعتراف بأن الحكومة يمكنها الاستفادة من الفكر بوصفها مالك رأس مال مخاطر في تحقيق أهداف مجتمعية مثل التحول الأخضر».

وقالت مازوكاتو في مقالها «إن السباق للتوصل إلى لقاح ضد الإصابة بفيروس كورونا يتيح فرصة جيدة. فالسعر الذي يدفعه المواطنون مقابل المستحضرات الطبية لا يعكس المساهمة الضخمة المقدمة منهم في مجال البحث الطبي - ما يزيد على ٤٠ مليار دولار أمريكي عام ٢٠١٩. وعند تحديد أسعار لقاحات كوفيد-١٩، يجب أن يراعى أنها وليدة أبحاث متعددة بالاشتراك بين القطاعين العام والخاص وممولة من الحكومة، مع ضرورة التأكد من تجميع براءات اختراع هذه اللقاحات ونشرها بحيث يكون اللقاح مجانياً ومتاحاً للجميع».

## تدريب موظفي الخدمة المدنية

داخل المبنى المكون من ستة طوابق في ميدان راسل بلندن حيث يقع مقر معهد الابتكار والمنفعة العامة الذي

تم إنشاؤه منذ عامين ونصف العام، يعمل فريق مازوكاتو المكون من ٣٠ شخصاً على وضع برنامج ماجستير الإدارة العامة الذي يركز على الابتكار والسياسة العامة والقيمة العامة. وتهدف مازوكاتو إلى تدريب موظفي الخدمة المدنية على تطبيق أفكارها في الحكومة. وبميزانية قوامها المنح البحثية والإيرادات المتأتية من التدريس وخدمات المشورة بشأن السياسات، استطاع المعهد بالفعل المساعدة في إنشاء بنك استثماري وطني في اسكتلندا، ووضع سياسة للبحث والابتكار قائمة على البعثات في الاتحاد الأوروبي، وإعداد استراتيجية للابتكار والصناعة في المملكة المتحدة. ووفقاً لكارلوتا بيريز، وهي باحثة بريطانية فنزويلية متخصصة في التكنولوجيا والتنمية الاجتماعية - الاقتصادية، تتمثل أهم مساهمات مازوكاتو في تحدي الفكر السائد بشأن دور الحكومة، وإلقاء الضوء على انعدام الارتباط بين القيمة والسعر، وإعادة ربط النظرية بالسياسات الفعلية من خلال عملها مع الحكومات. وهي أيضاً أستاذة شرفية في المعهد الذي أسسته مازوكاتو، وصدر لها كتاب عام ٢٠٠٢ بعنوان *Technological Revolutions and Financial Capital: The Dynamics of Bubbles and Golden Ages*.

وتقول بيريز عن مازوكاتو «إنها امرأة شجاعة للغاية استطاعت مواجهة المؤسسة الاقتصادية القوية التي استمرت في تبني مفهوم الأصولية السوقية بالرغم من إخفاقاته المتكررة في الكشف عن الفقاعات والتنبؤ بالانهيارات، وقدمت المشورة اللازمة من أجل نجاح السياسات». وقد أصبحت مازوكاتو اسماً بارزاً في مهنة لم يكن للنساء نصيباً كبيراً فيها لفترة طويلة. «وهي نجمة، ومثال فريد لما يمكن للنساء تحقيقه».

وترى مازوكاتو من جانبها أنه لا يزال أمامها الكثير لإتمام مهمتها. فثمة مناقشات على نطاق ضيق حتى الآن حول تخفيض ميزانية الحكومة كإجراء تصحيحي في اقتصادات العالم التي تضررت من الجائحة. ولكنها تحذر من ذلك.

وتقول «علينا توخي الحذر». ففي الوقت الذي تتيح فيه الحكومات مواردها المالية لمواجهة الضغوط الخافضة الناتجة عن الجائحة، «يجب ألا يفهم ذلك كبادرة على عدم اتخاذ إجراءات تقشفية مستقبلية». فقد بدأ الحديث في بريطانيا بالفعل عن «تقاسم الأعباء»، وهو ما يعني أن الحكومات المحلية قد يتوقع منها سداد الأموال التي أتاحتها الحكومة المركزية.

«وسيعني ذلك تقليص حجم الخدمات والنظم والهيكل التي يبدو أننا انتبهنا لأهميتها خلال الجائحة واعتبرناها (أساسية)». وتضيف قائلة «هناك معركة كبيرة بانتظارنا». **FD**

**بوب سيميسون** كاتب ومحرر حر عمل في السابق بجريدة وول ستريت جورنال وجريدة ديترويت نيوز ووكالة بلومبرغ نيوز.